

حول مشروع اللغة العربية الأساسية

الدكتورة ابتسام مرهون إصفار

البحث المطلق في العربية الأساسية من حيث هو موضوع علم نظري ، ولكن الغاية بسط هذا المشروع الذي وضعته للبنان ولعدد من الانتظار العربية مؤسسة فورد الامريكية وهي التي تموله . والداعى الى عقد هذا المقال اليوم هنا تنبيه افكار العاتلين في حقل اللغة العربية الى الاخطار التي ينطوى عليها هذا المشروع من الجانب المنوى تطبيقه . ثم استطرده متحدثا عن جلسات مؤتمر تحديد اللغة العربية الأساسية الذي دعا اليه المركز التربوي للبحوث والانماء في وزارة التربية الوطنية بلبنان حيث استضاف المدعوين الى المؤتمر مؤسسة فورد المذكورة وحيث عقد المؤتمر في شهر حزيران من عام 1973 م وفي حديثه هذا سجل لنا ملاحظات مهمة لم نجدها في المشروع المنشور وانما هي مناقشات دارت بين المؤتمرين وكشفت نوايا بعضهم في سبب دفاعهم عن هذا المشروع والتزامهم بنتجه وطريقته مما يكشف خطر المشروع على العربية الفصحى . اما ملاحظاتي التي اود ان اضيفها الى مناقشات الدكتور عمر فروخ فهي انه يمثل دعوة جديدة للاستفادة من آخر ما توصل اليه العلم الحديث من

كتب الدكتور عمر فروخ مقالا في (مشروع العربية الأساسية ، عرض المشروع وتبيان خطره على الفصحى) ونشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (المجلد الثامن والاربعون الجزء الرابع لشهر تشرين الاول 1973 - رمضان 1393 ص 817) حين قرأت هذا المقال لم اكن قد اطلعت على صيغة المشروع ولم اسمع به حتى وصلتني نسخة منه فتلقفتها بلهفة من يطلب الحقيقة ، ويبغى العلم ، وينشد الخير كل الخير للغة وامته ، ثم عدت الى مقالة الاستاذ الفاضل الدكتور عمر فروخ اترها مرة اخرى وانا ابارك الروح العالية والهمة العظيمة التي تدفع انفاذا من امتنا العربية للذود عن لغتها ، وتوجيه الانتظار الى الاخطار المحدقة بها ، وتقويم السبل الى تعليمها وتيسيرها ، واضفت الى ما كتبه صاحب المقال الفاضل بعض الملاحظات التي اود ان اسجلها هنا راجية ان اسهم في تبيان بعض اوجه الخطأ في تطبيق مشروع تحديد اللغة العربية الأساسية .

ذكر الدكتور فروخ ان الغاية من مثاله ليست

وسائل الاحصاء وهو استعمال العقل الالكتروني
لدراسة احصائيات لفردات العربية الفصحى
والعامية اللبانية) وتراكيبها النحوية للوصول الى
لغة أساسية مشتركة تيسر تعليم اللغة العربية
للطلبة في المرحلة الابتدائية وتيسر تعليمها للاجانب
ممن يرغبون في تعلم لغة العرب .

لو صدقت نوايا القائمين على هذا المشروع
واتخذوا نهجا شعريا لتوصلوا حقا الى غايات علمية
وتربوية (كما نص على ذلك في المشروع نفسه) الا
ان المنهج الذى وضع له يؤدي الى مردودات سلبية
تمحو الغرض الجليل الذى يرتجى منه .

1 - ورد في الصفحة التاسعة (ليس المقصود
بالعربية الاساسية ما يجب ان تكون عليه اللغة
(بحسب معايير جامدة وافقت العصور الماضية)
او ما يمكن ان تكون عليه بحسب مشاريع اصلاحية
وتحديثة قد اقترحها اناس مهتمون بالتجديد ولكن
بذهنية تستند في اصلاحاتها الى الرجوع لهذا او ذاك
من الشواهد النادرة التى وردت عند القدامى)
المقصود فقط وصف اللغة كما هى بطريقة موضوعية
وعلمية وتعيين تواتر المفردات والتراكيب) .

ان اللغة العربية اثبتت حيويتها وتقدمتها على
التطور والتجديد ومواكبة التطورات في مختلف
العصور ، اللغة التى استطاعت ان تخرج من نطاق
المحراء وتعبيراتها الضيقة الى عالم الحضارة
الواسع لتعبر عن كل ما جد في هذا العالم الجديد
من علوم وفنون ومصطلحات ، هذه اللغة نفسها
قادرة على مواكبة التطور الحديث في عصرنا هذا .

ان الدعوة الى وصف اللغة كما هى واستخراج
المفردات والتراكيب التى تشكل اللغة الاساسية
منها ، هذه الدعوة تعارض ما تدعو اليه المجامع
العربية والدول العربية شعوبا وحكومات لتعريب
العلوم والمصطلحات ، لان وضع اللغة على ما هى عليه
الآن يعنى مثلا ابقاء اللغة الفرنسية في المغرب
العربى وجعلها اللغة الاساسية لان الاستعمار
الفرنسى ادى الى شيوع اللغة الفرنسية بين اوساط
العرب والمسلمين فلما تحررت دول المغرب العربى
عمدت الى التخلص من التركة الاستعمارية في لغتها
والعودة الى اللغة العربية الاصيلية . ان مجرد

التفكير بهذه النتيجة ، كاف لرفض وسيلة تطبيق
هذا المشروع . والامة العربية كلها تدعو الى رفع
الحواجز التى تفصل بين ابنائها في أرجاء الوطن
العربى وتوكيد العامية وادخالها في اللغة الاساسية
يعنى تعميق وترسيخ عائق كبير من العوائق التى
تحول دون الوحدة العربية .

2 - ان اخذ العامية بنظر الاعتبار واعطائها
الاولية في الاحصاء يعنى اشاعة العامية واللهجة
المحلية وتصعيدها في كل قطر عربى ونسيان اللغة
العربية الفصحى التى تمثل الرابط القوى الذى يربط
الامة العربية بعضها ببعض ، وتعرف العربى بأخيه
العربى في اى مكان وجدا من العالم .

3 - ورد في الصفحة الثالثة من المشروع
(يجب ان نعرف ما يملكه التلميذ اللباني الذى يبدا
دراسة اللغة العربية عند وصوله الى المدرسة فنيا
يخص العربية هو يتكلم العامية التى تعلمها في حضانة
امه ، وفي عائلته وبين اترابه ، بالنسبة اليه لغته
الام هى هذه ، لهذا وجب علينا ان نعرف هذه اللغة
في صوتياتها ..)

لو قيل هذا قبل خمسين عاما او اكثر لوجدنا
له مبررا لان العربى في لبنان او مصر او العراق
بحكم واتعه المتخلف والجهل المطبق على الاسرة في
المجتمع العربى آنذاك جعل معرفته لعربيته الفصحى
محدودة . اما اليوم فان اطفالنا يستمعون الى الراديو
ويشاهدون برامج التلفزيون ، ويستمعون كل يوم
الى شتى الاحاديث والبرامج بالعربية الفصحى فلا
بد ان يعلق في اذهانهم شئ منها ، حتى اذا دخلوا
المدارس لم تكن مفردات لغتهم من العامية ، وحدها
ولم يكن ذهنهم مغلقا على ما سمعوه في عائلتهم فقط
بل كثيرا ما يدخل اطفالنا المدارس وهم يحفظون
اناشيد باللغة العربية الفصحى .

4 - ورد في الصفحة العاشرة (ليس المقصود
التعرض للغة الماضى لا لشيء الا لان مسها لا يجوز
لاسباب يملها العقل والمنطق السليم ، فالعربية
التقدمية قائمة على مجموعة من نصوص مختلفة
لها شكلها النهائى الثابت ، وليس المقصود ايضا
التضحية بالماضى بل تيسر الوصول اليه بأرجاء
دراسته الى مرحلة لاحقة يكون التلاميذ قد أعدوا

فيها أعدادا كافيا لفهمه وتذوقه وتمثله ، فالعربية الاساسية تهدف اذن وتبذل أى شيء آخر لا الى تبسيط اللغة بل الى تيسير تعليمها لتلاميذة المرحلة الابتدائية) .

ونحن نقول اذا تعذر علينا أن نعلم الطفل اللغة العربية الفصحى في المرحلة الابتدائية ونسير معه بتدرج يوافق تفكيره وعمره فكيف يتيسر له أن يتعلمها في مرحلة لاحقة ؟ (1) .

5 - وضعت في المشروع شروط العيّنات لاستخراج العربية الاساسية (ص 40) (المدارس الرسمية والخاصة ، الذكور والاناث ، المدينة والريف ، المسلمون والمسيحيون) .

ان توزيع العيّنات على مختلف القطاعات الشعبية فكرة جيدة ومقبولة الا ان النص على اختلاف الديانة فكرة مرفوضة لان العربي مسلما كان

او مسيحيا يأخذ بنفس وسائل الثقافة التي يأخذ بها ابناء عصره ، ويتأثر بكل التيارات المحيطة به وبالتالي فان النص على تمييز العيّنات في هذه الناحية ، قد يؤدي الى تعميق الفوارق ، وترسيخ الخلاف في مجتمع ينشد الوحدة والالفة بين ابناءه .

6 - ان استخراج العربية الاساسية ، يأخذ عيّنات في قصص ومسرحيات مؤلفة بالعامية ، ونصوص محكية بالعامية أيضا أمر مردود وغير مقبول للأسباب التي سبق ذكرها ، واذا كانت هناك وسيلة للوصول الى اللغة العربية الاساسية لا للبنان ومصر والعراق فقط بل لكل الامة العربية فهي تتم بأخذ عيّنات في الكتب المكتوبة بالعربية الفصحى فقط والمؤلفة في شتى الميادين الادبية والاجتماعية والسياسية فهذه تمثل بالتأكيد اللغة الحية التي جسدت الفكر العربي المعاصر واللغة المشتركة التي يقرأها العرب جميعا ويفهمونها جميعا بغض النظر عما هم عليه في لهجات محلية .

(1) وهذه هي الطريقة التي كانت متبعة في البلاد العربية ايام ازدهار الفكر والحضارة ، اذ كانوا يبدون بتعليم القرآن وحفظ اشعار العرب والفصيح من الكلام كفصيح ثعلب . وانظر ابن خلدون في هذا الصدد .